﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ.. ﴾

الأفعال، تحكي السّرائر

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي قدس سره

بحثٌ مكثّف من (تفسير الميزان) للعلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله حول معنى «الشّاكلة» في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾ الإسراء:٨٤، **لافتاً -في مطاوي البحث- إلى أنّ للإنسان شاكلةً أو «سجيّة»، هي شخصيّةٌ خَلْقيّة مُتَحصِّلةٌ من تفاعُل جهازاته البدنيّة بعضها مع بعض، وشاكلةً أخرى ثانية، وهي شخصيّة خُلُقيّة متحصِّلةٌ من تأثير العوامل الخارجيّة فيه.**

«المُشاكَلة» -على ما في (المفردات)- من الشَّكْل، وهو تقييدُ الدَّابّة، ويُسمَّى ما يُقيَّد به شِكالاً، بكَسر الشَّين، والشَّاكِلة هي السَّجِيَّة، سُمِّيَت بها لتقييدها الإنسان أن يجري على ما يناسبُها وتقتضيه.

وفي (المجمع): «الشَّاكِلة الطَّريقة والمَذْهب. يُقال: هذا طريقٌ ذو شواكِل، أي يَنْشعب منه طُرُق جماعة».

وكأنَّ تسميتَهما بها لِمَا فيها مِن تقييد العابرين والمُنتَحِلين بالتزامهما وعدم التَّخلُّف عنهما. وقيل: الشَّاكلة من الشَّكل -بفتح الشين- بمعنى المثل، وقيل: إنَّها من الشِّكل -بكسر الشِّين- بمعنى الهَيْئة.

وكيف كان، فالآية الكريمة تُرَتِّب عمل الإنسان على شاكِلَتِه، بمعنى أنَّ العمل يُناسبُها ويُوافقُها، فهي بالنِّسبة إلى العمل كالرُّوح السَّارية في البَدَن، الذي يُمثِّل بأعضائه وأعماله هيئاتِ الرُّوح المعنويّة. وقد تحقَّق بالتَّجارُب والبحث العلمي أنَّ بين المَلَكات والأحوال النّفسانيّة وبين الأعمال رابطةٌ خاصّة؛ فليس يَتساوى عملُ الشُّجاع الباسل والجبان إذا حَضَرا موقفاً هائلاً، ولا عملُ الجواد الكريم والبخيل اللَّئيم في موارد الإنفاق، وهكذا.

و[ثبتَ] أنَّ بين الصِّفات النّفسانيّة ونوع تركيب البُنية الإنسانيّة رابطة خاصّة. فمِنَ الأمزِجة ما يُسرع إليه الغضب وحبُّ الانتقام بالطَّبع، ومنها ما تَغلي وتَفُور فيه شهوة الطَّعام أو النِّكاح أو غير ذلك، بحيث تَتُوق نفسُه بأدنى سببٍ يَدعوه ويُحرِّكه. ومنها غير ذلك، فيختلف انعقادُ المَلَكات بحسب ما يناسب المَوْرِدَ سرعةً وبُطأً.

لا تَنافي بين «الشّاكلة»، و«الاختيار»

ومع ذلك كلّه، فليس يخرجُ دعوة المزاج المُناسِب [المتناسب مع ملَكَة] لِمَلَكَةٍ من المَلَكات أو عملٍ من الأعمال مِن حَدِّ الاقتضاء إلى حدِّ العِلِّيَّة التامّة، بحيث يَخرجُ الفعلُ المُخالِفُ لِمُقتضى الطَّبع عن الإمكان إلى الاستحالة ويبطلُ الاختيار، فالفعلُ باقٍ على اختياريَّته، وإنْ كان في بعض الموارد صعباً غاية الصُّعوبة.

وكلامُه سبحانه يؤيِّد ما تَقدَّم على ما يُعطيه التَّدبُّر، فهو سبحانه القائل: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا..﴾ الأعراف:٥٨، وانضمامُ الآية إلى الآيات الدالَّة على عموم الدّعوة كقوله: ﴿..لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ..﴾ الأنعام:١٩، يُفيد أنَّ تأثير البُنى الإنسانيّة في الصِّفات والأعمال على نحو الاقتضاء دون العلِّيَّة التّامّة كما هو ظاهر. كيف وهو تعالى يعدّ الدِّين فطرياً تهتفُ به الخلقة التي لا تبديلَ لها ولا تغيير، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ..﴾ الروم:٣٠، وقال: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ عبس:٢٠. ولا [تجتمع] دعوةُ الفطرة إلى الدِّين الحقّ والسُّنَّة المعتدلة [مع] دعوة الخلقة إلى الشّرّ والفساد والانحراف عن الاعتدال، بنحو العِلِّيَّة التّامّة.

وقولُ القائل: إنَّ السَّعادة والشَّقاوة ذاتيّتان لا تتخلَّفان عن ملزومِهما؛ كزوجيّة الأربعة وفرديّة الثّلاثة، أو مقضيّتان بقضاءٍ أزليٍّ لازم، وأنَّ الدَّعوة [إنّما هي] لإتمام الحُجَّة لا لإمكان التّغيير ورجاء التَّحوُّل من حالٍ إلى حال، فالأمر مفروغ عنه، قال تعالى:

﴿..لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ..﴾ الأنفال:٤٢، مدفوعٌ [أي قولُ القائل المتقدّم مدفوعٌ] بأنَّ صحَّةَ إقامة الحُجّة -بعينِها- حُجّةٌ على عدم كون سعادة السَّعيد وشقاوة الشَّقيّ لازمة ضروريّة، فإنَّ السَّعادة والشَّقاوة لو كانتا من لوازم الذَّوات، لم تحتاجا في لحوقِهما إلى حُجّة، إذ لا حُجّة في الذّاتيّات، فتلغو الحُجّة [تلغو: تُصبح بلا معنى]، وكذا لو كانتا [الشّقاوة والسّعادة] لازمتَين للذّوات بقضاءٍ لازمٍ أزليّ، لا لاقتضاءٍ ذاتيٍّ من الذّوات، كانت الحُجَّةُ -والعياذُ بالله تعالى- للنّاس على الله سبحانه، فتلغو الحُجَّةُ منه تعالى.

فصحَّةُ إقامة الحُجَّة من قِبَله سبحانه تكشفُ عن عدم ضروريّة شيءٍ من السّعادة والشّقاوة بالنَّظر إلى ذات الإنسان، مع قَطْعِ النَّظر عن أعماله الحَسَنة والسَّيِّئة، واعتقاداته الحقَّة والباطلة.

على أن توسُّل الإنسان بالفطرة إلى مقاصد الحياة بمثل التَّعليم والتَّربية، والإنذار والتّبشير، والوعد والوعيد، والأمر والنَّهي، وغير ذلك، أوضحُ دليلٍ على أنَّ الانسان في نفسه على ملتقى خطَّين ومنشعَب طريقَين: السَّعادة والشَّقاوة، وفي إمكانه أن يختار أيّاً منهما شاء، وأن يَسلُك أيّاً منهما أراد، ولكلِّ سعيٍ جزاءٌ يُناسبه؛ قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ النجم:٣٩-٤١. فهذا نوعٌ من الارتباط مستقرٌّ بين الأعمال والمَلَكات، وبين الذَّوات.

الآية الكريمة تُرَتِّب عملَ الإنسان على شاكلَته، بمعنى أنَّ العمل يُناسبُها ويُوافقُها، فهي بالنِّسبة إلى العمل كالرُّوح السَّارية في البَدَن، الذي يُمثِّل بأعضائه وأعماله هيئاتِ الرُّوح المعنويّة.

وهناك نوعٌ آخر من الارتباط مستقرٌّ بين الأعمال والمَلَكات، وبين الأوضاع والأحوال والعوامل الخارجة عن الذّات الإنسانيّة، المستقِرَّة في ظرف الحياة وجوِّ العَيْش، كالآداب والسُّنَن والرُّسوم والعادات (التّقاليد)، فإنَّها تدعو الإنسانَ إلى ما يُوافقها وتَزجُره عن مخالفتِها، ولا تلبثُ دون أن تصوِّره صورةً جديدةً ثانية، [بحيث] تَنطبقُ أعمالُه على الأوضاع والأحوال المحيطةِ به، والمُجتمعة المُؤتَلفةِ في ظرف حياته.

مزاجُ الإنسان المتناسب مع المَلَكات والأعمال المعيّنة، لا يُبطل «الاختيار»، فلا يخرجُ -بذلك المزاج- الفعلُ المخالفُ لمُقتضى الطَّبع، عن الإمكان إلى الاستحالة، وإنْ كان في بعض الموارد صعباً غاية الصُّعوبة.

وهذه الرَّابطة على نحو الاقتضاء غالباً، غير أنَّها ربّما تستقرُّ استقراراً لا مطمعَ في زوالها من جهة رسوخ المَلَكات الرَّذيلة أو الفاضلة في نَفْس الإنسان. وفي كلامه تعالى ما يشيرُ إلى ذلك، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ..﴾ البقرة:٦-٧، إلى غير ذلك. ولا يضرُّ ذلك [في] صحّة إقامة الحُجَّة عليهم [على الكافرين] بالدَّعوة والإنذار والتّبشير، لأنَّ امتناعَ تأثير الدَّعوة فيهم مُستنِدٌ إلى سوء اختيارِهم، والامتناعُ بالاختيار لا يُنافي الاختيار.

شاكلتان: خَلْقيّة، وخُلُقيّة

فقد تبيَّن بما قدَّمناه -على طوله- أنَّ للإنسان شاكِلةً بعد شاكِلة. فشاكِلةٌ يهيِّؤها نوعُ خِلْقَته وخصوصيّةُ تركيب بُنْيَته، وهي شخصيّةٌ خَلْقيّة مُتَحصِّلةٌ من تفاعُل جهازاته البدنيّة بعضها مع بعض، كالمزاج الذي هو كيفيّةٌ متوسِّطةٌ حاصِلةٌ من تفاعُل الكيفيّات المُتَضادَّة بعضها في بعض. وشاكلةٌ أخرى ثانية، وهي شخصيّة خُلُقيّة متحصِّلةٌ من وجوه تأثير العوامل الخارجيّة في النَّفس الإنسانيّة، على ما فيها من الشَّاكِلة الأولى، إنْ كانت.

والإنسان على أيِّ شاكلةٍ متحصِّلةٍ، وعلى أيِّ نعتٍ نفسانيٍّ وفعليَّةٍ داخليّةٍ روحيّةٍ كان، فإنَّ عملَهُ يجري عليها، وأفعاله تُمثِّلها وتَحكيها، كما أنَّ المُتكبِّرَ المُختال يلوحُ حالُه في تَكَلُّمه وسُكوتِه وقيامِه وقُعودِه وحرَكَتِه وسُكُونه، والذَّليلُ المسكينُ ظاهرُ الذِّلَّة والمَسْكَنة في جميع أعماله، وكذا الشُّجاع والجبان والسَّخيّ والبخيل والصَّبور والوَقور والعَجول، وهكذا.

وكيف لا والفِعلُ يُمثِّلُ فاعلَه، والظَّاهر عنوانُ الباطن، والصُّورة دليلُ المعنى. وكلامُه سبحانه يصدِّق ذلك ويبني عليه حُجَجه في موارد كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ..﴾ فاطر:١٩-٢٢، وقوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ..﴾ النور:٢٦، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

إقامةُ الحُجّة من الله تعالى على الخَلق، دليلٌ على أنّ السّعادة والشّقاوة ليستا من لوازم الذّات، فلو كانتا من لوازمها، لم تحتاجا في لحوقهما إلى حُجّة، إذْ لا حُجّة في الذّاتيّات.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ..﴾ الإسراء:٨٤، مُحكَمٌ في معناه على أيِّ معنىً حَمَلنا الشَّاكلة، غير أنَّ اتِّصال الآية بقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء:٨٢، ووقوعَها في سِياق أنَّ الله سبحانه يُربِح المؤمنين ويَشفيهم بالقرآن الكريم والدَّعوة الحقّة، ويُخسِر به [القرآن الكريم] الظَّالمين لِظُلمهم، يقرِّب كَوْن المُراد بـ«الشَّاكِلة» الشَّاكِلةَ بالمعنى الثّاني، وهي الشَّخصيّة الخُلُقيّة الحاصِلة للإنسان من مجموع غرائزه، و[من] العوامل الخارجيّة الفاعِلة فيه. كأنَّه تعالى لَمَّا ذَكَر استفادةَ المؤمنين من كلامه الشِّفاءَ والرَّحمة، و[لَمَّا ذكَرَ] حرمانَ الظَّالمين من ذلك، وزيادتهم في خسارهم، اعتَرَضَهُ مُعترِضٌ في هذه التَّفرقة، وأنَّه لَوْ ساوى بين الفريقَين في الشِّفاء والرَّحمة، كان ذلك أَوْفى لِغَرَض الرِّسالة، وأنفع لِحالِ الدَّعوة؛ فأمَرَ [الله تعالى] رَسولَه ﷺ أنْ يُجيبَهم في ذلك، فقال: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ..﴾ الإسراء:٨٤، أي إنَّ أعمالَكم تَصدرُ على طِبْق ما عندكم من الشّاكِلة والفعليّة الموجودة؛ فمَن كانت عنده شاكلةٌ عادلة، سَهُلَ اهتداؤه إلى كلمةِ الحقّ والعمل الصّالح، وانتَفَعَ بالدَّعوة الحقّة، ومَن كانت عنده شاكِلةٌ ظالمة، صَعُبَ عليه التَّلبُّس بالقَوْل الحقّ والعمل الصّالح، ولم يُزَد من استماع الدعوة الحقّة إلَّا خساراً.

واللهُ تعالى الذي هو ربُّكم، العليمُ بسرائرِكم، المدَبِّرُ لأمرِكم، أعلمُ بِمَن عندَه شاكِلةٌ عادلة، وهو أهدى سبيلاً، وأقربُ إلى الانتفاع بكلمة الحقّ، والذي عَلِمَه [اللهُ تعالى] وأخبرَ به [هو] أنَّ المؤمنين أهدى سبيلاً، فيختصُّ بهم الشِّفاء والرّحمة بالقرآن الذي يُنزِّلُه، ولا يبقى للكافرين -أهلِ الظُّلم- إلَّا مزيد الخَسار، إلَّا أن ينتزعوا عن ظلمِهم، فيَنتفعوا به.

ومن هنا تظهرُ النّكتة [الدّقّة الفائقة] في التّعبير بصيغةِ التّفضيل في قوله تعالى: ﴿..أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ الإسراء:٨٤، وذلك لِما تقدَّم من أنَّ الشّاكلة غير مُلزِمةٍ في الدَّعوة إلى ما يُلائمُها، فالشّاكلةُ الظّالمة، وإنْ كانت مُضِلَّةً داعيةً إلى العمل الطَّالح، غير أنَّها لا تُحتِّم الضَّلال، ففيها أَثَرٌ من الهُدى وإنْ كان ضعيفاً، والشّاكِلةُ العادلةُ أهدى منها، فافهم.

اختلافُ النّفوس بالماهيّات

وذَكر الإمام الرّازي في (تفسيره) ما مُلخَّصُه: أنَّ الآية تدلُّ على كَوْن النُّفوس النّاطقة الإنسانيّة مختلفة بالماهيّة، وذلك أنَّه تعالى بَيَّن في الآية المتقدِّمة أنَّ القرآن بالنِّسبة إلى بعض النُّفوس يُفيد الشِّفاء والرَّحمة، وبالنِّسبة إلى بعضٍ آخَر يُفيد الخَسار والخزي، ثمَّ أَتْبَعَه بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ..﴾ الإسراء:٨٤، ومعناه أنَّ اللّائق بتلك النُّفوس الطَّاهرة أنْ يَظهر فيها من القرآن آثارُ الذّكاء والكمال، وبتلك النُّفوس الكَدِرَة أنْ يَظهر فيها منه [من القرآن الكريم] آثارُ الخزْي والضَّلال، كما أنَّ شعاع الشَّمس يعقد الملح، ويُليِّن الدِّهن، [وبه يطيبُ ريحُ الورد، وينتُنُ ريح القاذورات]، وهذا إنَّما يتمُّ إذا كانت الأرواحُ والنُّفوسُ مختلفةً بماهيّاتها، فبعضُها مشرقةٌ صافيةٌ يظهرُ فيها مِن القرآن نُورٌ على نُور، وبعضُها كدرةٌ ظُلمانيّةٌ يظهرُ فيها منه ضلالٌ على ضلال، ونكالٌ على نكال. انتهى.

وفيه [أي في كلام الرّازي] أنَّه تعالى لو أقام الحجَّة على اختلاف ماهيّات النُّفوس بعد رُسوخ مَلَكاتها وتصوُّرها بِصُوَرِها لكان له وجه، وأمَّا النُّفوس السّاذجة قبل رسوخ المَلَكات، فلا تختلفُ بالآثار اختلافاً ضروريّاً حتّى تجري فيها الحُجَّة. وقد عرفتَ أنَّ الآية إنَّما تتعرَّضُ لحال الإنسان بعد حصول شاكِلتِه وشخصيَّته الخُلُقيّة الحاصِلة من مجموع غرائزه، و[من] العوامل الخارجيّة الفاعلةِ فيه، الدّاعيةِ إلى نوعٍ من العمل دعوةً على نحو الاقتضاء، فتَبصَّر.

موجز في التّفسير

سورةُ الأحزاب

من دروس «المركز الإسلامي»

*** السُّورة الثّالثة والثّلاثون في ترتيب سُوَر المصحف الشّريف، ومن حيث التّنزيل تلي سورة «آل عمران».**

*** آياتها ثلاثٌ وسبعون، وهي مدنيّة، يُكتب لِمَن يُكثر قراءَتها مجاورة النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة.**

*** سُمّيت بـ «الأحزاب»، لأنّ جزءاً مهمّاً من آياتها يتحدّث عن «غزوة الخندق»، واجتماع أحزاب الكفر على محاربة النّبيّ صلى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة. من تلك الآيات، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ..﴾** الأحزاب:٢٢.

جاءَ في سببِ نزول سورة الأحزاب أنّ عدداً من زعماء قريش قَدِموا المدينةَ بعد غزوَة أُحد بأمانٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله ليُكلِّموه، فجاؤوه ومعهم بعضُ المنافقين، فقالوا: يا محمّد، أُرفض ذِكرَ آلهتِنا اللّاتَ والعُزّى ومَناة، وقلْ: إنّ لها شفاعةً لِمَن عبدها، ونَدَعك وربّك. فلم يُجبهم صلى الله عليه وآله إلى طلبِهم، وأمر بإخراجِهم من المدينة، ونزلَ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ..﴾ الأحزاب:١.

ثوابُ تلاوتها

«تفسير مجمع البيان»: عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: **«مَن قرأ سورة الأحزاب وعلَّمَها أهلَه وما مَلَكَت يمينُه، أُعطِيَ الأمانَ من عذاب القبر»**.

عن الإمام الصّادق عليه السلام: **«مَن كان كثير القراءة لِسورة الأحزاب، كان يومَ القيامة في جوار محمّدٍ صلى الله عليه وآله ..»**.

محتوى سورة الأحزاب

«تفسير الأمثل» (بتصرّف): إنّ هذه السُّورة من أغنى سُوَر القرآن المجيد وأجناها ثماراً، تبحثُ مسائلَ متنوّعةً وكثيرةً في باب أصول الإسلام وفروعه. ويُمكن تقسيمُ الأبحاث التي وَرَدت فيها إلى أقسامٍ سبعة:

الأوّل: بدايةُ السُّورة، التي تدعو الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى طاعة الله تعالى، وترْك اتّباعِ الكافرين ومقترَحات المنافقين، وتُبشّره بأنَّ الله سبحانَه سيَدعمُهُ ويَنصرهُ في مواجهتِهم.

الثّاني: أشار إلى بعض خرافات زمان الجاهليّة، كالظِّهار، حيث كانوا يعدّونه سبباً للطّلاق وافتراق الرَّجل عن امرأته، وكذلك مسألة التَّبنّي، وأكّدت على بطلانِها، وحَصَرت العلاقات والرَّوابط العائليّة والسّببيّة بالرّوابط الواقعيّة والطبيعيّة.

الثّالث: وهو أهمّ أقسام هذه السُّورة، ويَرتبطُ بمعركة «الأحزاب» وحوادثها المُرعبة، وانتصار المسلمين المُعجِز على الكفّار، وتفنيد تخرُّصات المنافقين وأعذارهم، ونَقْضِهم عهودَهم، وقد بيّنَ في هذا المجال قوانينَ رائعةً وجامعة.

الرّابع: يرتبطُ بزوجات النّبيّ صلى الله عليه وآله، حيث يجب أنْ يَكُنَّ أسوةً وأنموذجاً أسمى لكلِّ نساء المسلمين، ويُصدِر لهنّ في هذا الباب أوامرَ مهمَّة.

الخامس: يتطرّق إلى قصّة «زينب بنت جحش» التي كانت يوماً زوجةً لِزَيد الذي ربّاه النّبيُّ صلى الله عليه وآله وافترَقت عنه، فتزوّجَها صلى الله عليه وآله بأمرِ الله سبحانه، فأصبحَ هذا الزّواجُ حرْبَةً بيَدِ المنافقين، فأجابهَم القرآنُ الجوابَ الكافي الشّافي.

السّادس: يتحدّثُ عن مسألة الحجاب، ويوصي كلَّ النّساء المؤمنات بمراعاة هذا القانون الإسلامي.

السّابع: يشكِّل الجزءَ الأخير من السُّورة، ويشيرُ إلى مسألة المعاد، وطريق النَّجاة في ذلك الموقف العظيم، وكذلك يَشرحُ ويُبيِّنُ مسألةَ أمانة الإنسان العظمى، أي مسألة التّعهُّد والتّكليف والمسؤوليّة.

تفسيرُ آياتٍ من السُّورة

قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ..﴾ الأحزاب: ٤.

*** أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يَجتمعُ حبُّنا وحبُّ عدوِّنا في جَوْف إنسان، إنَّ الله لم يَجعل لِرَجلٍ قلبَين في جوفه، فيُحبّ بهذا ويُبغضَ بهذا. فأمّا مُحِبُّنا فيُخلِصُ الحبَّ لنا كما يُخلَصُ الذَّهبُ بالنّار لا كَدَر فيه، فمَن أراد أنْ يَعلمَ حبَّنا فلْيَمتحن قلبَه، فإنْ**

شارك في حبّنا حبَّ عدوِّنا فليس منّا ولسنا منه، والله عدوٌّهم وجبرئيلُ وميكائيل، والله عدوٌّ للكافرين».

**الإمام الصّادق عليه السلام: «ما جَعلَ اللهُ لرجلٍ من قلبَين في جوفِه، يحبُّ بهذا قوماً، ويحبُّ بهذا أعداءَهم».

قوله تعالى: ﴿اَلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ..﴾ الأحزاب:٦.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «..وأمّا عقوقُ الوالدَين في كتابه [فقوله]: ﴿اَلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ..﴾، فعَقُّوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله في ذرّيته، وعقُّوا أمَّهم خديجة في ذريّتها».

قوله تعالى: ﴿..وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ الأحزاب:١٠.

* أمير المؤمنين عليه السلام لِمَن سأله: «.. وأمّا قوله للمنافقين: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾، فهذا الظنّ ظنُّ شكٍّ وليس ظنَّ يقين، والظنُّ ظنّان: ظنُّ شكٍّ وظنُّ يقين، فما كان مِن أمرِ معادٍ من الظنّ فهو ظنُّ يقين، وما كان من أمر الدُّنيا فهو ظنُّ شكّ، فافهم ما فسّرتُ لك..».

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ..﴾ الأحزاب:٢٢.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: مَن استقبَل جنازةً أو رآها فقال: اللهُ أكبر، هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورسولُه، وصدَقَ اللهُ ورسولُه، أللّهُمَّ زِدْنا إيماناً وتسليماً، الحمدُ لله الذي تعزَّزَ بالقدرة، وقَهَرَ العِبادَ بالموت، لَمْ يبقَ في السَّماء مَلَكٌ إلّا بكى رحمةً لصوتِه».

قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ الأحزاب:٢٣.

* الإمام الصّادق عليه السلام لأبي بصير: «يا أبا محمّد، لقد ذَكَرَكُم اللهُ في كتابه فقال: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾ الأحزاب:٢٣، أنّكم وَفَيْتُم بما أخذ اللهُ عليه ميثاقَكم من ولايتِنا، وأنّكم لم تُبدِّلوا بنا غيرنا..».

** عنه عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ! مَن أحبَّك ثمّ مات فقد قضى نَحْبَه، ومَن أحبَّك ولم يَمُت فهو يَنتظر، وما طَلَعت شمسٌ ولا غَرُبت إلّا طَلَعت عليه برزقٍ وإيمان».

قوله تعالى: ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ..﴾ الأحزاب:٣٣.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «نزلتْ هذه الآية في النّبيّ، وأميرِ المؤمنين، والحسنِ، والحسين، وفاطمة عليهم السلام، فلمّا قَبَض اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّه صلى الله عليه وآله، كان أميرُ المؤمنين، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين عليهما السلام، ثمّ وقع تأويلُ هذه الآية: ﴿..وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ..﴾ الأحزاب:٦، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام، ثمّ جَرتْ في الأئمّة من وُلدِه الأوصياء عليهم السلام، فطاعتُهم طاعةُ الله، ومعصيتُهم معصيةُ الله عزَّ وجلَّ».

قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ الأحزاب:٣٥.

* النّبيّ صلى الله عليه وآله: «إذا أيْقظَ الرَّجلُ أهلَه من اللّيل، وتوضّيا وصلّيا، كُتِبا من الذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات».

** الإمام الصّادق عليه السلام: «مَن باتَ على تسبيحِ فاطمة، كان من الذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ الأحزاب: ٤١-٤٢.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «ما من شيءٍ إلّا وَلَه حدٌّ ينتهي إليه إلّا الذِّكر، فليس له حدٌّ ينتهي إليه، فَرَض اللهُ عزَّ وجلَّ الفرائضَ فمَن أدّاهنّ فهو حَدُّهن، وشهرَ رمضان فمَن صامَه فهو حدُّه، والحجَّ فمَن حجَّ فهو حدُّه، إلّا الذِّكر فإنّ الله عزَّ وجلَّ لم يرضَ منه بالقليل، ولم يَجعل له حدّاً ينتهي إليه».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ..﴾ الأحزاب:٥٦.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما مِن قومٍ اجتَمعوا في مجلسٍ فلم يَذكروا اسمَ الله عزَّ وجلَّ ولم يُصلُّوا على نبيِّهم، إلّا كانَ ذلك المجلسُ حَسْرةً ووَبالاً عليهم».

** وعنه عليه السلام: «..ما مِن عبدٍ يُصلّي على النّبيّ صلى الله عليه وآله، أو يُسلِّم عليه إلّا بَلَغَه ذلك..».

قوله تعالى: ﴿عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ..﴾ الأحزاب:٧٢.

* الإمام الصّادق عليه السلام: «هي ولايةُ أمير المؤمنين عليه السلام».

** الإمام الرّضا عليه السلام: «الأمانةُ الولاية، مَن ادّعاها بغير حقٍّ كَفَر».